



الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي الجزائري: ترجمته من خلال الإجازات المخطوطة

Sheikh Muhammad Bin Yahya Al-Mathbouhi Al-Jaza'iri:

His biography from Ijazat manuscripts

د.إسماعيل زيان

Ismail Ziane

أستاذ تعليم متوسط (الجلفة)

ziane_ismail2005@yahoo.fr

الملخص:

إنّ دراسة الإجازات العلمية للعلماء الجزائريين لا شك أنّها تكشف النقاب عن الحياة العلمية في الجزائر، ولا شك أيضاً أنّها ستسفر عن معلومات جديدة تخصّ العلماء وعلاقتهم بشيوخهم وتلامذتهم، خاصة أولئك العلماء الذين لم تسترسل كتب التراجم في ذكرهم، حتّى إنّهم أصبحوا في عداد المغمورين، ومن جملتهم الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي الجزائري الذي كان قاب قوسين أو أدنى من دفن ذكره لقلّة المصادر التي ترجمت له.

لهذا تأتي هذه الورقة كي تضع ترجمة وافية لهذا العَلَمِ الجزائري الذي عاش في القرن الحادي عشرهجري، وتسَلِّط الضوء على إجازاته التي أخذها من شيوخه أو التي أجازها تلامذته، والتي من شأنها أن تجلّي لنا تلك الصورة غير الواضحة عن حياته العلمية سواء داخل الجزائر أم خارجها.

الكلمات المفتاحية: محمد بن يحيى المذبوحي، إجازات، الجزائر، القرن الحادي عشرهجري، تطوان.

Abstract

The scientific Ijzat study of Algerian Eulama' reveals the scientific life in Algeria, and will result a new information concerning those Eulama' and their relationship with their sheikhs and students, especially those Eulama' whose biography books didn't mention them, to the extent that they became among the unknowns, including Sheikh Muhammad Bin Yahya Al-Mathbouhi Al-Jaza'iri, who wasn't mentioned in the few sources.

That's why this paper comes to put a comprehensive biography of this Algerian Ealam who lived in the 11th century AH, and sheds light on his Ijzat that he took from his Sheikhs or that were authorized by his students, which would reveal to us that unclear perception of his scientific life, whether inside Algeria or outside.

Keywords. Sheikh Muhammad Bin Yahya Al-Mathbouhi. Algeria . Ijzat . Tetouan . 11th century AH.

1. مقدمة:

لا يزال التعريف بعلماء الجزائر في العهد العثماني مشروعًا لم يكتمل، وذلك لعدة أسباب، منها الهجرة من الجزائر بسبب الحالة السياسية والاقتصادية في ذلك الوقت، أو بسبب الحملات الصليبية التي كانت تقوم بها الدول الأوروبية بين الفينة والأخرى، ولا شك أنّ بعض العلماء الجزائريين قد طُويَ ذكْرهم، وفُقدت آثارهم المخطوطة من رسائل وكتب وإجازات، وذلك الشيء صعب من مهمة الترجمة لهم، حيث أصبح بعض العلماء الجزائريين ينتسبون إلى بلدان مستقرهم سواء في المشرق أم في المغرب، فكم من عالم جزائري نُسبَ في كتب التراجم إلى تلك البلدان، ولم تذكر كتب التراجم أنّه جزائري الأصل أو المنشأ مثلاً.

ثم إنّ مشكلة تناثر التراث الجزائري المخطوط في الخزائن والمكتبات خارج الجزائر صعب أيضاً من إمكانية القيام بدراسة شاملة عن حياة العلماء الجزائريين، فهناك بعض الكتب والرسائل المخطوطة لأولئك العلماء تقبع في تلك المكتبات، ولا يمكن الوصول إليها إلّا بشق الأنفس، زدّ على ذلك سوء بعض الفهارس الذي يؤدي في كثير من المرات إلى تضليل الباحث وإبعاده عن ذلك التراث المخطوط.

أما الشيء الآخر الذي أحرّ اكتمال هذا المشروع -أقصد مشروع الترجمة لعلماء الجزائر- هو العزوف عن دراسة الإجازات العلمية للعلماء الجزائريين، أو دراسة قيود السماع والتملّك التي تُكتَبُ في أواخر الكتب المقروءة ككتب الحديث والفقه والنحو وغيرها، فكلّ تلك الأمور من شأنها رسم خريطة واضحة للمسار العلمي لأيّ عالم، حيث تُوثّق الصلة بين العالم وشيوخه، أو بين العالم وطلبته، بل وتُوثّق رحلاته وأسفاره في طلب العلم أو الحجّ إلى بيت الله الحرام.

لأجل كلّ ذلك، تأتي هذه الورقة لوضع ترجمة وافية لأحد علماء الجزائر المغمورين، ألا وهو الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي، وذلك بعد دراسة وتحقيق لبعض إجازاته من شيوخه، وإلى تلامذته، وقبل الدخول في متن الموضوع وصلبه، لزم وضع بعض الإشكاليات التي سيكون الجواب عليها مفيداً في الترجمة لهذا العالم، ومنها:

- من هو الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي؟
- من هم شيوخه في الجزائر؟
- من هم شيوخه خارج الجزائر؟
- ما هي رحلاته التي قام بها في طلب العلم؟
- هل ترك في إجازاته شيئاً يزيد في التعريف به من الناحية العلمية؟

2. الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي:

2.1 اسمه ونسبه وحياته العلمية:

في الحقيقة إنّ المصادر التي تحدّثت عن الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي تكاد تكون نادرة، بل إنّّي لا أبالغ إن قلت إنّ هذا العالم لم يترجم له من معاصريه أو قريب منهم سوى الشيخ عبد الله بن محمد الفاسي في كتابه (الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر)، لكن مع وجود بعض الإجازات الخاصة بالشيخ محمد بن يحيى المذبوحي من شيوخه، أو إلى تلامذته، استطعت أن أجمع ترجمة مجملّة وافية نوعاً ما عن حياة هذا الرجل ورحلاته العلمية طلباً للعلم، فأقول:

هو محمد بن يحيى بن عبد الهادي، أبو عبد الله، الحسنيّ، الهاشمي⁽¹⁾. وُلِدَ بالجزائر المحروسة، على ما يبدو في حدود سنة 1020هـ، فأخذ العلم على شيوخ الجزائر وفي مقدّمهم الشيخ سعيد قدّورة الذي أجازته في مسموعاته ومروياته⁽²⁾، وبدأ بالتدرّج العلمي، فكان مشغلاً بمطالعة كتب المتقدّمين والمتأخّرين من المتكلّمين والأصوليين، فنال قسطاً وافراً من العلوم النقلية والعقلية، ثمّ بعد ذلك أخذ على الشيخ يحيى بن المبارك الخليلي سنة 1041هـ، فوصفه في إجازته بأنّه شابٌّ زكيّ نبه، لبيبٌ ومجتهدٌ، وعاءٌ من أوعية العلم⁽³⁾.

وبعدما أخذ الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي على شيوخ الجزائر، غادر الجزائر متجهاً إلى مدينة تطوان، التي كانت في ذلك الوقت ثغراً من ثغور المسلمين، فجالس علماءها ونهل من علمهم، ومكث سنوات عديدة هناك، فأخذ على الشيخ ابن عمران الفاسي لمّا مرّ بتطوان سنة 1061هـ، وأجازته بعدما وصفه بأنّه علّمُ الأعلام، مصباح زمانه، وسراج أقرانه، المحقّق المدقّق، شريف العلماء، وعالم الأشراف، وقال إنّ تلك لم تكن إجازةً بقدر ما هي قراءة معه⁽⁴⁾.

ولم يقف الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي عند ذلك الحدّ، بل كان يتواصل مع علماء فاس ومن أهمّهم الشيخ عبد القادر الفاسي حيث كان يكتبه ويسأله، ثمّ لقيه فاستفاد منه وانتفع به، وسمع منه، وكان يعدّه ذخراً وكتابه حرزاً، على ما أخبر به في مكاتبته، وكان الشيخ محمد بن يحيى إذا قدم فاس ينزل عند الشيخ عبد القادر، وكان يعظّمه ويكرمه⁽⁵⁾.

وبعد كلّ تلك السنوات التي قضاها الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي في تطوان، رأى أن يرجع إلى أهله وبلده بالجزائر المحروسة، فرجع إلى عالمها المفتي الشيخ سعيد قدّورة، وطلب منه الإجازة سنة 1066هـ أي قبيل وفاته بأشهر، فأجازته بإجازة ذكر في مقدّمها أنّه كان طالباً نجيباً محصّلاً، أخذاً من فنون العلم بأوفر نصيب، وذكر أنّه تقدّمت له قراءةٌ عليه بالجزائر المحروسة قبل انتقاله لثغر تطوان في سنين عديدة، وأوقات مديدة في علوم كثيرة كال تفسير والحديث والفقه وغير ذلك. ثمّ أجازته بأسانيده لعقائد السنوسي وصحيح البخاري وغيرهم⁽⁶⁾.

وبوفاة الشيخ سعيد قدورة سنة 1066م، ومع غياب علماء الجزائر في حاضرة الجزائر إمّا بالوفاة كالشيخ علي بن عبد الواحد السجلماسي، أو بالهجرة كالشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي، رجع الشيخ محمد بن يحيى مجدداً إلى ثغر تطوان، ومكث هناك مدرّساً، والتقى بالشيخ أحمد بن عبد الرحمن ابن جلال فأخذ عنه وطلب منه الإجازة، فأجازته بكل مروياته سنة 1072هـ⁽⁷⁾.

ويبدو أنّ الشيخ محمد بن يحيى أراد أن يؤدّي فريضة الحجّ، فسافر إلى الحجاز سنة 1082هـ، حيث دخل تونس وبالضبط مدينة سوسة في جمادى الآخرة من نفس السنة، فلقى بعض العلماء هناك، وكان من جملتهم الشاعر الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الله العروي السوسي، شاعر حمودة باشا⁽⁸⁾، فطلب هذا الأديب أجازة له ولولديه عبد الله ومحمد من الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي، فأجازهم بعد امتناعه من ذلك معتذرا بقلّة البضاعة، لكنّ الأديب محمد العروي ألحّ عليه، فوافق الشيخ المذبوحي على ذلك وأجاز الثلاثة بإجازة واحدة بخطّ يده⁽⁹⁾.

ومع جهلي لعدد المرات التي سافر فيها الشيخ محمد المذبوحي إلى المشرق، إلّا أنّي أرجّح أنّ هذه الحجّة كانت أوّل رحلة له إلى المشرق، ويعضد هذا الترجيح عدم ذكر الشيخ المذبوحي في إجازته للعروي لأيّ عالم من علماء مصر أو الحجاز، بل اقتصرته إجازاته على علماء الجزائر والمغرب فقط.

سافر الشيخ محمد المذبوحي إلى الحجاز وأدّى مناسك الحجّ، وخالط علماء المشرق خاصة علماء بمصر، فانكب على الكتب التي صنّفت في العقائد، فكان من جملة تلك المؤلفات (جوهرة التوحيد) لصاحبها الشيخ إبراهيم اللقاني، فقرأها وحفظها، ثمّ رجع بها إلى بلاد المغرب، فكان هو أوّل رجل يُدخل تلك الرسالة إلى المغرب، فتلقّفها أهل المغرب بالقراءة وانكبّوا على شرحها⁽¹⁰⁾.

وبعد سفر طويل بين المشرق والمغرب، استقرّ الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي في الجزائر، حتى وافته المنية سنة 1094هـ⁽¹¹⁾، رحمه الله تعالى.

2.2 شيوخه:

يحيى بن المبارك الخليلي:

هو يحيى بن المبارك بن علي بن عمر بن أحمد، الخليلي نسبا، من علماء الجزائر المغمورين، ولد فيما يبدو في بداية القرن الحادي عشر هجري، أخذ على عدّة علماء منهم الشيخ علي بن المبارك القلعي، والشيخ أبو العباس أحمد بن عيسى الراشدي، والشيخ أبو الحسن علي بن عمر الراشدي المعروف ب(أقدار)، وكان هذا الأخير شيخه الذي لازمه وأخذ عليه علم التوحيد خاصة شروح السنوسية، ولم أقف على سنة وفاته، إلّا أنّ المؤكّد أنّه توفّي بعد سنة 1041هـ.

سعيد بن إبراهيم قدورة:

هو سعيد بن إبراهيم، أبو عثمان، المعروف بقدورة. اختلف في مكان ولادته فمنهم من قال إنه ولد لوالديه بمدينة الجزائر بعد انتقالهم إليها من (قدورة)، القريبة من جزيرة (جربة) على ساحل تونس، وقيل إنه ولد لأبويه في (قدورة)، ثم جاء به أبوه إلى مدينة الجزائر وهو صغير السن. أخذ عن شيوخ كثير منهم الشيخ سعيد المقرئ وأبو علي البهلوي في زاوية أهلول والشيخ المظماطي⁽¹²⁾، وأخذ عنه خلق كثير ومن أشهرهم ابنه أبو عبد الله والشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي. تولى الإفتاء سنة 1028هـ واستمر فيه إلى أن وافته المنية سنة 1066هـ⁽¹³⁾.

ترك الشيخ سعيد قدورة العديد من المؤلفات، وقد تقفّى أثرها في الخزانات المغربية الأستاذ أبو القاسم سعد الله، ومنها: «شرح على السلم المرونق»، و«حاشية على شرح صغرى الشيخ السنوسي» و«شرح خطبة مختصر خليل في الفقه» و«حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل أيضا» و«رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو» و«نوازل تلمسانية» و«شرح المنظومة الخزرجية في العروض».

أحمد بن علي بن عمران الفاسي⁽¹⁴⁾:

هو أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران، أبو العباس، السلاي، الفاسي، مفتي فاس وعالمها، المحدث الحافظ. كان والده قاضي الجماعة، وكان جدّه عبد الرحمن من شيوخ الفقه والنحو. كان الشيخ أحمد أحد مدرّسي جامع القرويين، وانتقل إلى الزاوية الدلائية، فدرّس بها بحضرة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وأخذ عنه خلق كثير منهم الحسن اليوسي، حيث أخذ عنه العقيدة الكبرى للشيخ السنوسي مع شرحها. وكانت وفاته بفاس سنة 1065هـ.

أحمد بن عبد الرحمن بن جلال⁽¹⁵⁾:

هو الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جلال، أبو العباس، التلمساني أصلا، الفاسي مولدا ونشأة، الفقيه النحوي. أخذ على جملة من العلماء منهم الشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ محمد العربي الفاسي وعن عمّه الشيخ أحمد وعن الشيخ ابن عاشر. درّس بجامع القرويين، وكان يخطب بالمدرسة العنانية. وكانت وفاته بفاس سنة 1079هـ.

3.2 . مؤلفاته:

لم تذكر المصادر المتقدمة أيّ كتاب له، سوى أنّه أوّل من أدخل رسالة (جوهرة التوحيد) وشرحها إلى المغرب، لكنّ الأستاذ خالد زهري لمّا وضع فهرسا للكتب المخطوطة التي تتكلّم عن العقيدة الأشعرية، وجد رسالة ألفها الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي، وهي رسالة قصيرة جدّا تتمثل في جواب عن معنى الاستثناء في كلمة التوحيد، وهي رسالة تقع ضمن مجموع بالخزانة الحسنية تحت رقم: 14124⁽¹⁶⁾.

وبما أنّ الشيخ محمد بن يحيى أمضى وقتاً طويلاً في مدينة تطوان، فلا يبعد أنّ تكون رسائله أو مؤلفاته متفرقة بين خزائن ومكتبات مدينة تطوان، أو مدينة فاس التي كان يرأس فيها الشيخ عبد القادر الفاسي، والله أعلم.

3. إجازات الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي:

احتفظت المكتبة الأزهرية بمجموع يضم إجازات للشيخ محمد بن يحيى المذبوحي من شيوخه المذكورين سابقاً، وكتبت تلك الإجازات طلباً من الأديب السوسي محمد العروي، حيث نسخ جميع إجازات الشيخ محمد بن يحيى، ليذيلها هذا الأخير بإجازة للسوسي العروي وولديه عبد الله ومحمد.

تقع هذه الإجازات ضمن مجموع تحت رقم: (2019 مجاميع) 97565 المغاربة، من القطعة 81 إلى غاية القطعة 93، مكتوبة بخط مغربي واضح، استعمل فيها النسخ اللون الأحمر للتمييز بين الفقرات، وبآخرها إجازة بخط يد الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي.

أما منهجي في التحقيق فقد اقتصر على تفريغ الإجازات وكتابتها حسب القواعد الإملائية الحديثة، ولم أنبه على الاختلافات الإملائية كعدم كتابة الهمزة في آخر الكلمة، وغيرها.

1.3. إجازة يحيى بن المبارك بن علي بن عمر بن أحمد الخليلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

الحمد لله رفيع الدرجات، مشرف العلماء بأكرم الصفات، كاشف الحقائق بالأدلة الواضحة، ومظهر السبل والطرق بالبراهين الساطعة، نور بصائر البعض بالعرفان، فصاروا حجة لأهل الإيقان، وخصّ منهم الشيوخ والموحدين بمزيد التحصيل والإتقان، حتى تلقى عنهم ما يبثونه من العلم بالقبول والإذعان، ويؤمنون حيث كانوا من البلدان والأمصار، على مرّ الليالي والأعصار، إبقاءً لرسم العلم وتحصيل الرواية، وإدامة لقصد التثبيت في الأخذ والدراية، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، وشأنه كله عبادة الرحمن، ذي الخلق العظيم، الرؤوف الرحيم، سيد العرب والعجم، وعلى آله ما دامت القراطيس، والسطور مصاحبة للسواد والبياض، ما جرى ماءً أو غاض، أما بعد،

فقد طلب منّا الشابُّ الزكيُّ النبيه، اللبيب المجتهد، الحافظ، وعاء العلم، المطالع، الناقل لكتب المتقدمين والمتأخرين من المتكلمين والأصوليين، أئمة الدين القويم، والصراط المستقيم في أصول الدين، أبو عبد الله السيّد محمد بن يحيى ابن عبد الهادي الحسني، أحسن الله عاقبة الجميع، إجازةً وإذنًا فيما أخذناه عن أسيادنا وأشياخهم من أصول الدين سيما عقائد الشيخ الإمام الصدر الأعظم، العالم العلم، الخطير الكبير الشهير [.....] المتأخرين، أبي عبد الله سيدي محمد بن سيدي يوسف السنوسي، الحسني، فأذنْتُ للشابِّ المذكور وأجزته أن يعلم المسلمين، ويروي عنّا ما سمعناه من أسيادنا وأشياخهم إجازة

عامة فيما يصحّ عنده أنّ رويته ودريته وسمعته من أشياخي رحمة الله عليهم، وأذنتُ له في رواية ذلك عني عنهم بأسانيدهم، نفعنا الله وإيَّاه بالعلم النافع، وجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يوفّقنا للعمل وللإخلاص والزهد في هذه الدنيا الفانية، وقد أخذنا علم أصول الدين عن أربابه إلى مؤلفه بأربعة أشياخ أو خمسة، أخذناه أول مرة عن الشيخ الولي الصالح العابد الزاهد أبي العباس سيدي أحمد ابن عيسى الراشدي ثمّ حقّقناه عن الجامع بين الحقيقة والشريعة، الشيخ المحقّق المشارك في العلوم الظاهرة والباطنة، وحيد دهره وفريد عصره أبي الحسن سيدي علي بن عمر الراشدي الشهير بـ"أقدّار"، وهو أخذه عن أبي محمد سيدي عبد القادر ابن خدّة الراشدي، وهو أخذه عن أبي عبد الله سيدي محمد أقدّار الراشدي، وهو أخذه عن تلميذ المؤلّف أبي زكريا سيدي يحيى الراشدي، وهو أخذه عن المؤلّف المصنّف في سائر العلوم، أبي عبد الله سيدي ومولاي محمد بن يوسف السنوسي الحسني نفعنا الله بالجميع، ومنحنا مأمّنهم، إنّه عليم قدير سميع.

قال ذلك وكتبه عبيد الله غلام أولياء الله، خويدم العارفين بالله، المحبّ المتعلّق بأذيال أهل الله، يحيى بن المبارك بن علي بن عمر بن أحمد، الخليلي نسباً، الأشعري اعتقاداً، الصوفي طريقة، المالكي مذهبا، ووقّعه الله لمرضاته ووقاه شرّ نفسه وغفلاته، بجاه أصفياه وملائكته، وذلك أواخر شعبان عام إحدى وأربعين وألف، عرّفنا الله خير، وكفانا شرّه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله عدد أنعامه وأفضاله.

2.3 . إجازة أحمد بن علي بن عمران الفاسي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الحمد لله مجيب السائلين ومفيد الراغبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحقّ الممين، وأشهد أن سيّدنا ومولانا محمداً خاتم النبيين وإمام المرسلين، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً دائماً دائماً إلى يوم الدين، وبعد،

فإنّي لما توجّهتُ في رحلتي من الحضرة الفاسية قاصداً للحرمين الشريفين، وزيارة خير البرية، مررتُ بالثغر التطاوني حرسه الله تعالى، فالتقيتُ فيه بعلم الأعلام، مصباح زمانه، وسراج أقرانه، المحقّق المدقّق، شريف العلماء وعالم الأشراف، سيّدنا ومولانا أبي عبد الله محمد بن سيدي يحيى الشريف المذبوحي الجزائري، فطلبَ منّي أن أقرأ معه صحيح البخاري وجمع الجوامع، فاعتذرتُ له بأنّي قليل البضاعة، غير متقن للصناعة، فأبى إلا ذلك، فقرأتُ معه صدرا من صحيح البخاري إلى كتاب بدء الخلق، فطلبَ منّي الإجازة فيما قرأتُ معه، فأجزته في ذلك، وحدّثته بما سمعته من شيخ الإسلام، العالم العلم، أبي القاسم ابن محمد بن أبي نعيم الغساني، وبما سمعته من شيخ الإسلام وإمام المحدثين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المجاطي، وبما سمعته من أبي العباس أحمد المقرّي بأسانيدهم المتصلة المرفوعة، راجيا من الله بركة

دعائه، فالله تعالى يوالي توفيقه، ويجعل اليمن رفيقه، وكتبه عبد الله تعالى أحمد ابن علي بن عمران، وفقه الله تعالى، ويلى ذلك تاريخ كتبها ومناولتها للفقير يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى عام إحدى وستين وألف.

3.3 . إجازة سعيد بن إبراهيم قدورة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، الحمد لله مجيب السؤال ومعطي النوال، المحمود في السراء والضراء وفي جميع الأحوال، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان الأطيبان على سيدنا محمد سيد الأرسال، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، أمّا بعد،

فإنّه لما كان الطالب النجيب، المحصل الأديب، الآخذ من فنون العلم بأوفر نصيب، أبو عبد الله السيّد محمد الشريف المذبوحي، تقدّمت له قراءة علينا بالجزائر المحروسة قبل انتقاله لثغر تطاون في سنين عديدة وأوقات مديدة في علوم كثيرة، كالتفسير والحديث والفقه وغير ذلك، طلب الآن منا وفقه الله تعالى أن أجيزه فيما قرأه علينا وحضره مجلسنا، فأشهدتُ على نفسي أنّي قد أجزته في جميع ذلك، وفي جميع مروياتي ومقرّاتي، والله المسؤل أن ينفعنا وإياه بذلك، وأن يسلك بنا أفضل المسالك.

ولنذكر الآن ما تيسّر سنده كعقائد الشيخ السنوسي الخمس، فإنّي أرويهما من طريقتين، من طريق شيخنا أبي عثمان سعيد المقرّي القرشي، عن شيخه سيدي محمد بن جلال، عن شيخه سيدي سعيد المانوي عن شيخه الشيخ سيدي محمد السنوسي، وأرويهما أيضا من طريق شيخنا سيدي محمد ابن أبي القاسم المظماطي مفتي الجزائر في وقته عن شيخه أبي محمد عبد القادر ابن خدة الراشدي عن شيخه سيدي محمد أقدّار عن الشيخ السنوسي.

وأما صحيح البخاري فأرويه أيضا من طرق أعلاها طريق شيخنا سيدي سعيد المقرّي عن الشيخ سيدي عبد الرحمن سقين عن شيخه القلقشندي عن الحافظ ابن حجر بأسانيد المشهورة، وأرويه أيضا من طريق الشيخ محمد أهلول وأخيه سيدي أبي علي عن الشيخ الإمام البركة البكري عن أبيه عن الشيخ زكريا عن الحافظ ابن حجر، وبهذا السند أروي ما بقي من التواليف حسبما هو مذكور في فهرسة الشيخ الإمام البكري نفع الله به آمين، والله الموفّق للصواب، وإليه المرجع والمآب بتاريخ جمادى الآخرة عام ستة وستين وألف.

4.3 . إجازة أحمد بن عبد الرحمن بن جلال:

الحمد لله، يقول عبيد الله تعالى الضعيف الفقير إلى رحمة الله سبحانه أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، المدعو بالمربع، ابن محمد بن جلال، الفاسي دارا ومنشأ، التلمساني أصلا، إنّ السيّد الفقيه الدارك النبيل الأصولي المعقولي المشارك، سيدي محمد بن السيد البركة سيدي يحيى الشريف الحسيني الإدريسي المذبوحي، الجزائري أصلا ومنشأ، التطاوني دارا، بلغه الله آماله وزكى أقواله وأفعاله، لما وقف على ما كتب

لي مشائخنا المذكورون يمنتهم من الأسانيد والإجازات، طلب مَيَّ أن أكتب له أحرفاً تشبه الإجازة لينخرط في حزبهم المنيع ويتشبَّث بذيلهم الرفيع، فاعتذرتُ له بأنِّي لستُ للإجازة أهلاً، ولا سلكْتُ من طريقها حزناً ولا سهلاً، فما أحقُّ أن ينقلب المجيْزُ مجازاً، ويكون ذلك حقيقة لا مجازاً، فأبى إلَّا إسعافه في ذلك والدخول في تلك المسالك، إذ الإجازة من الدين وشعار العلماء الموقِّقين المجتهدين، ورام الدخول في حزبهم القويم وسلوك طريقهم المستقيم، فأجبتُه إلى ذلك مستصعباً تلك المسالك وكلَّ على نيَّته، وربَّك أعلم بسرِّه وعلايته والتمسَّك بآثار الصالحين مطلوب، والتشبُّه بذوي العلم الفضلاء العلماء مرغوبٌ.

أقدامهم فوق الجباه

لي سادة من حَيِّهم

في حَيِّهم عزَّ وجاه

إن لم أكن منهم فلي

فأقول: قد أجزتُ للسَيِّد المذكور أن يروي عَنِّي جميع ما رويْتُ عن الأشياخ المذكورون وغيرهم يمنتهم، كما ذكر يمنتهم، بالشروط المعتبرة عند أهل الفنِّ، وصافحته كما صافحني شيخنا سيدي العربي الفاسي، برَّد الله ضريحه، كما صافحني هو بسنده المذكور بصفته المذكورة، وقرأتُ معه الفاتحة وأوَّل البقرة كما قرأتُ مع شيخنا سيدي أحمد بن عمران رحمة الله عليه، وحدثتُه بالحديث المروي عن الجان بسندنا المذكور، وأجزتُ ولده سيدي العربي بمثل الإجازة المذكورة، بلَّغَه الله مرغوبه فيه آمين، وجعله من العلماء المتّقين ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. قال ذلك وكتبه بخطِّ يده عبد الله سبحانه أحمد بن جلال المذكور، في سابع وعشرين ربيع النبوي الأفضل من عام اثنين وسبعين وألف، وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم.

5.3 . إجازة المذبوحي لأبي عبد الله محمد العروي السوسي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وصلى الله على وسلّم على سيّدنا ومولانا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

الحمد لله الكريم الوهاب، المتفضّل على من أهله للسعادة من ذوي الألباب، الفاتح لهم ما انهم من غوامض العلوم في الفصول والأبواب، والصلاة والسلام على مولانا وسيّدنا وعمدتنا وسيّدنا، وعلى آله وكافة الأصحاب، أمّا بعد،

فيقول عبيد ربه وأسير ذنبه، أفقر الوري، ومحَبِّ العلماء، وصادقُي [...]]، محمد بن يحيى بن عبد الهادي، الجزائري منشأ ودار، الهاشمي الحسنيُّ بحارا، المالكيُّ مذهباً، الأشعريُّ اعتقاداً، الشهير المذبوحي، أسعد الله ذاتي وروحي، لما حللتُ بالحضرة التونسية، حفظت من كل بليّة، بجاه خير البريّة، في سفري ورحلتي بقصد أداء فريضة الحجّ وزيارة خير البريّة، اجتمعتُ مع بعض فضلاء الوقت بالحضرة المسطورة، وكان من أفضلهم وأجلهم وأجلهم، تاج الأدباء وخاتم النجباء، اللودعيُّ الأملع والألمعيُّ، الأبرع والمنشئ الأرفع، العلامة الأجلُّ، السامي المكنانة والمحل، التالي لكتاب الله عزَّ وجلَّ، شيخ الإسلام ومفتي الأنام

بحضرة سوسة، أمنت من كلّ جوسة، أبو عبد الله الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الشهير "العروي"، الحسيني العلوي من قبل أمّه، فطلبَ منّي أن أقرأ معه بعض ما تيسّر من الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ظناً منه أنّ لي معرفة ببعض ذلك، وسلكْتُ تلك المسالك، وألحَّ عليّ في طلبته لحسن نيّته وصفاء سريره، حقّق الله أمله وبلّغه نصره، وتقبّل عمله، فأجبتّه لبعض ما قصده، وقرأتُ معه حديث: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) الحديث، ثم سألني أن أجيّزه في جميع ما أجازني فيه مشائخنا المذكورون بأسانيدهم المتصلة المرفوعة، لينخرط في حزبهم المنيع ويتشبّث بذيلهم الرفيع فاعتذرتُ له بكوني لسْتُ للإجازة أهلاً كما قال شيخنا المذكور، ولا سلكْتُ من طرقها حزناً ولا سهلاً، فما أحقّ أن ينقلب المجيئ مجازاً، أو يكون ذلك حقيقة لا مجازاً، لا سيما مع تشتت البال وكثرة الاشتغال، والسعي في أخذ أهبة السفر والارتحال، فأبى إلّا تنجيز طلبته وتنفيذ رغبته، إذ الإجازة من الدين المتين، وشأن الأئمة الموقّفين، وهي من خصائص هذه الأمة من علماء المهتدين، فأجبتّه ثانياً إلى ذلك، واثقاً بالموقّق المالك، فأقول ومن الله استمدّ العون في جميع المأمول:

قد أجزتُ للسيد محمد العروي الحسيني العلوي أن يروي عنيّ جميع ما رويته عن الأشياخ المذكورين وغيرهم، ممّن لم يذكر في هذه الأوراق، وكلّ ما يصحّ لي وعنيّ روايته في جميع ما سطر وحرّر يمينته بالشروط المعتبرة عند أهله، وصافحته وولده الفقيه النجيب، التحفة اللبيب، الآخذ من كلّ فن بأوفر نصيب أبا محمد السيد عبد الله، كما صافحني شيخنا العلامة أبو العباس الشيخ سيدي أحمد بن جلال الفاسي الدار، التلمساني الأصل، برّد الله ضريحه، بسنده المذكور على الصفة المسطورة عند القوم، وقرأتُ معهما وفقهما الله تعالى الفاتحة وأوّل سورة البقرة إلى (المفحلون)، كما قرأتُ مع شيخنا المذكور أعلاه يليه، وحدّثهما بالحديث المروي عن الجان بسنده المرفوع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وبمثل ما أجزتُ به الشيخ المذكور أجزتُ ولديه النجلين الزكيين الفقيهِين الدارِكين البارين، أبا عبد الله سيدي محمد وأبا محمد سيدي عبد الله وفقهما الله لما يحبّه ويرضاه، بجاه حبيبه ومصطفاه، ورزقهما رضاكم بصالح دعائكم، وجعلنا وإياكم من الأولياء الأخيار بجاه النبي المختار، كما أجزتُ لهما بل لهم جميعاً ما سمعه الشيخ منّي أو قبّده عنيّ إجازة مطلقةً عامّةً، نفع الله الجميع بجاه النبي الشفيّع ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرّره عبيد من بيده الإمامة والإحياء، الفقير إلى الله تعالى محمد بن يحيى أحيا الله قلبه بالمعارف الربّانية، بجاه خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً آمين، وذلك بتاريخ أواسط شهر ربيع الثاني، بل جمادى الأولى عام اثنين وثمانين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

4. الخاتمة:

لقد كانت هذه الورقة ومضهً حاولتُ بها إنارة تاريخ أحد علماء الجزائر المغمورين، مستفيداً ممّا كتبه في إجازاته من شيوخه أو لطلبته، وقد خلصتُ في هذه الورقة إلى وجود فجوة في التاريخ الثقافي للجزائري

لم تسد بعد، بسبب قلة المصادر التاريخية، وتناثر التراث الجزائري في المكتبات والخزائن خارج الجزائر، وهذا ما لمسته في ترجمة الشيخ محمد بن يحيى المذبوحي.

لذا فإنني ألخص بعض النتائج والتوصيات لي وللباحثين في قضية استيعاب تراث العلماء الجزائريين، ومنها:

- المبادرة إلى إحصاء التراث الجزائري المخطوط الموجود داخل الجزائر ورقمته، وإتاحته للباحثين كي يصل إلى أكبر شريحة منهم.
- السعي وراء تصوير المخطوطات الموجودة خارج الجزائر، وتسهيل توفيرها للباحثين.
- وضع دراسة للعلماء الجزائريين المنسوبين خطأً إلى بلدان آخر.
- الالتفات إلى دراسة الإجازات والسماعات الموجودة في الكتب المخطوطة، وذلك لسدّ كل ثغرة تاريخية متعلّقة بالحياة العلمية لأيّ عالم جزائري.

6.المراجع

- (1) هذا هو الاسم الكامل الذي كان يثبتته في بعض إجازاته.
- (2) مجموع محفوظ بمكتبة الأزهر تحت رقم: (2019 مجاميع) 97565 المغاربة، ق: 83-84.
- (3) مجموع إجازات، ق: 82.
- (4) مجموع إجازات، ق: 83.
- (5) عبد الله بن محمد، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2008، ص 303.
- (6) مجموع إجازات، ق: 83-84.
- (7) مجموع إجازات، ق: 91.
- (8) محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج 2، ص 179.
- (9) مجموع مخطوط، نفس المرجع السابق، ق: 92.
- (10) عبد الله بن محمد، المرجع السابق، ص 303.
- (11) عبد الله بن محمد، المرجع السابق.
- (12) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع (طبعة خاصة)، الجزائر، 2007، ج 1، ص 358.
- (13) أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ج 1، ص 357.
- (14) محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، نشر مكتبة الطالب، المغرب، 1982، ج 2، ص 74-75.
- (15) محمد بن الطيب القادري، نفس المرجع السابق، ج 2، ص 179-180.
- (16) خالد زهري، المصادر المغربية للعقيدة الأشعرية: بليوغرافيا ودراسة بليومترية، نشر الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2017، ج 2، ص 497.